

تأثيرات الانترنت على العلاقات الاجتماعية

د/ رشيدة سبتي

أستاذة محاضرة قسم (أ) جامعة الجزائر 03

البريد الالكتروني: rachida_sebti@yahoo.fr

من أهم صفات الكائن البشري وجود علاقات بينه وبين الآخرين ومن الأفضل تسميتها بالعلاقات البشرية بغض النظر عن كونها علاقات إيجابية أو سلبية وهي بالتالي تختلف عن مفهوم العلاقات الإنسانية والتي أصبح متعارف عليها بالعلاقات الإيجابية. ويتخذ التفاعل الاجتماعي صور وأساليب متعددة فقد يحدث هذا التفاعل بطريق مباشر أو غير مباشر بين عدد محدود من الأفراد أو عدد كبير. ويكون عن طريق استخدام الإشارة واللغة والإيماء بين الأشخاص. ويأخذ التفاعل الاجتماعي أنماطاً مختلفة تتمثل في التعاون والتكيف والمنافسة والصراع. وحينما تستقر أنماط التفاعل وتأخذ أشكالاً منتظمة فإنها تتحول إلى علاقات اجتماعية كعلاقات الأبوة والأخوة والزمالة... الخ. وقد جرت العادة بين العلماء على التفرقة بين العلاقات المؤقتة والعلاقات الدائمة من حيث درجة الثبات والانتظام والاستقرار فيطلقون على الأولى منها اصطلاح العمليات الاجتماعية بينما يطلقون على الثانية اصطلاح العلاقات الاجتماعية وهذا يعني أن العملية الاجتماعية ما هي إلا علاقة اجتماعية في مرحلة التكوين فإذا ما استقرت وتبلورت وأخذت شكلاً محدداً تحولت إلى علاقة اجتماعية وبذلك يكون الفرق بين العملية والعلاقة الاجتماعية مجرد فرق في الدرجة وليس في النوع. و نظراً لأن التفاعل الاجتماعي وسيلة اتصال بين الأفراد والجماعات فإنه بلا شك ينتج عنه مجموعة من التوقعات الاجتماعية المرتبطة بموقف معين. إذا نتوصل إلى أن : التفاعل الاجتماعي هو عدة منبهات اجتماعية متفاعلة تقدمها البيئة الاجتماعية لأبنائها، وتؤدي هذه المنبهات إلى استثارة استجابات اجتماعية لدى المشاركين في هذا الموقف.

خصائص التفاعل الاجتماعي

- يعد التفاعل الاجتماعي وسيلة اتصال وتفاهم بين أفراد المجموعة فمن غير المعقول أن يتبادل أفراد المجموعة الأفكار من غير ما يحدث تفاعل اجتماعي بين أعضائها.
- إن لكل فعل رد فعل مما يؤدي إلى حدوث التفاعل الاجتماعي بين الأفراد.
- عندما يقوم الفرد داخل المجموعة بسلوكيات وأداء معين فإنه يتوقع حدوث استجابة معينة من أفراد المجموعة إما إيجابية وإما سلبية.

- التفاعل بين أفراد المجموعة يؤدي إلى ظهور القيادات وبروز القدرات والمهارات الفردية.
- إن تفاعل الجماعة مع بعضها البعض يعطيها حجم أكبر من تفاعل الأعضاء وحدهم دون الجماعة.
- أيضاً من خصائص ذلك التفاعل توتر العلاقات الاجتماعية بين الأفراد المتفاعلين مما يؤدي إلى تقارب القوى بين أفراد الجماعة ونظراً لأن التفاعل الاجتماعي وسيلة اتصال بين الأفراد والجماعات فإنه بلا شك ينتج عنه مجموعة من التوقعات الاجتماعية المرتبطة بموقف معين.¹

أهداف التفاعل الاجتماعي: يحقق التفاعل الاجتماعي بين الأفراد مجموعة من الأهداف منها:

- تعلم الفرد و الجماعة أنماط السلوك المتنوعة .
 - تحقيق أهداف الجماعة و يحدد طرائق إشباع الحاجات والاتجاهات التي تنظم العلاقات بين الأفراد و الجماعات في المجتمع في إطار القيم السائدة و الثقافة و التقاليد الاجتماعية المتعارف عليها.
 - يساعد التفاعل على تحقيق الذات و يخفف من وطأة الشعور بالضيق ، فكثيراً ما تؤدي العزلة إلى الإصابة بالأمراض النفسية .
 - يساعد التفاعل على التنشئة الاجتماعية للأفراد و غرس الخصائص المشتركة بينهم.
 - يساعد على تقييم الذات و الآخرين بصورة مستمرة .²
- التفاعل الاجتماعي :** العملية الاجتماعية الأساسية التي تعبر عن ذاتها في الاتصال و في العلاقة المتبادلة بين فردين أو أكثر (أو بين جماعات) ، و يعتبر التفاعل بين الأشخاص سلوكاً اجتماعياً . لأن الناس يتبادلون المعاني و يمارسون التأثير المتبادل على سلوك بعضهم البعض وتوقعاتهم و فكرهم من خلال اللغة و الرموز و الإشارات .³
- الانترنت و المنظومة التكنو- اجتماعية**

أصبح البعض يطلق على عصرنا عصر المجتمعات المرئية و هو مصطلح اقترن ظهوره بإمكانية التواصل الاجتماعي عبر الانترنت التي أصبح يطلق عليها مفهوم " الوسيط الاتصالي " حيث أصبحت أداة للتفاعل الاجتماعي و الاتصال بالآخرين من خلال أدواتها الاتصالية المتنوعة التي تظهر يوماً بعد يوم كما أنها خلقت شكلاً جديداً من الاتصال يختلف عن أشكال الاتصال التقليدية التي اعتدنا عليها .

إنه زمن التحدي الكبير و الخطير للإنسان قياساً بسرعة الأحداث و التطورات التقنية المذهلة و التشكل الاجتماعي الجديد المفروض فرضاً بشكل أو بآخر على مختلف البنى الاجتماعية

المعهودة في عالمنا الإنساني. و أوضحت تبرز المؤشرات الخطيرة على هكذا تغيرات اجتماعية في مظاهر حياتنا و طبيعة علاقاتنا الاجتماعية.⁴

لذلك يجب توضيح مدى الارتباط بين مفاهيم النظام الاجتماعي و أنساقه المختلفة مع ما تقدمه تقنية الانترنت من تغيرات و تطورات و مشكلات اجتماعية أي العلاقة بين (التقني و الاجتماعي) و معرفة مختلف التفاعلات التي تحدث بين الأفراد والجماعات المستخدمين للانترنت للتعرف على أبعاد هذه التقنية المتعددة في المجتمعات الإنسانية، وما هي أهم ملامح هذا النظام التقني و ما هي خصائصه و مقوماته و إفرزاته و مميزات و عيوبه ، و إلى أي مدى يمكن أن يسير بنا الركب الآلي في تقنية المعلومات أو الأصح الركب الآلي – الاجتماعي في بحر المعلومات ؟ أي نظام اجتماعي ينتظر البشرية ؟ بفعل ما يمكن أن تحدثه الانترنت من تغير في تركيبة المجتمعات البشرية و أنماط تفاعلها الاجتماعي والثقافي ؟

مجتمع الانترنت: الظاهرة الاجتماعية الجديدة

يمكن القول أن مجتمع الانترنت هو المجتمع الإنساني الجديد الذي يتألف من الإنسان والآلة محققا الشروط الاجتماعية و مضيفا إليها ملامح و خصائص أخرى للاجتماع الإنساني في دينامية الفضاء المرقم ذي الصفات الجديدة بالنسبة لتطور الحضارات و تظهرها المعرفي .

الانترنت و العلاقات الاجتماعية

يعد الانترنت كوسيط اتصالي أداة للاتصال بالآخرين و تكنولوجيا وسطية هدفها التواصل و تحسين العلاقات الاجتماعية للفرد ، و هي المكان الذي تنشأ منه علاقات اجتماعية جديدة . حيث أوجدت شكلا جديدا من العلاقات تنشأ بين الأفراد تتخطى الحدود المكانية و الزمانية و تسمح بتحقيق تفاعل و تواصل اجتماعي كاستخدام الرسالة المكتوبة بين شخصين أو أكثر حيث تصبح الكلمة المكتوبة هي أساس التواصل بينهم .⁵

المستوى الحوار في الشبكة المعلوماتية

لقد برزت خاصية الحوار بقوة في التقنيات الاتصالية و تطبيقاتها المتعددة إضافة إلى بروتوكولات الاتصال و الحوار و التفاعل الاجتماعي بين مختلف المستخدمين على اختلاف هوياتهم و أمكنتهم و أزمنتهم و أعمارهم و مستوياتهم الفكرية . بما جعل الشبكة العالمية للمعلومات نموذجا تقنيا ينتشر انتشارا واسعا على مستوى الاجتماع الإنساني بكل مدلولاته بحيث تطورت طرق التواصل العلمي و التجاري والقانوني والسياسي و الاقتصادي و الصناعي، أي حقق الاتصال رغم التباعد الجغرافي تقاربا اجتماعيا .⁶

كما تتميز هذه التقنية بالعديد من الخصائص التي سهلت و زادت في تكثيف علاقات التواصل و الحوار من خلال:

الافتراضية

ساهمت الانترنت في خلق فضاءات اتصالية افتراضية جديدة لم تكن موجودة من قبل كالبريد الالكتروني و منتديات النقاش و المدونات الالكترونية و الدردشة الالكترونية و التعاليق الالكترونية على الأخبار و المقالات ، و بذلك أصبح يعتبر الانترنت وسيلة مثلى للترباط بحيث تنتقل المعلومات و توصلها للأفراد الآخرين المتواجدين في الأطراف الأخرى من الشبكة بسرعة كبيرة و في ظرف أني تزامني بصرف النظر عن أماكن تواجدهم أو ما يطلق عليه بظاهرة التخطي المعلوماتي أي أنها تتجاوز الفضاءات الجغرافية و الزمنية ⁷.

التفاعلية

إن الهدف من الاتصال هو تبادل الدور الاتصالي بين المرسل و المتلقي بصورة دينامية فهي اتصال بين اتجاهين يحدث بين كل من فرد و فرد أو جماعة أخرى و من جانب آخر بين فرد و برنامج معلوماتي كبرامج الألعاب الالكترونية هذه الألعاب التفاعلية القائمة على مبدأ الأدوار الطبيعية التي تجري ضمن بيئة فيزيائية حقيقية في كونها تأخذ بعدا عالميا متعالية على الإكراهات الفيزيائية التي يخضع لها اللاعبون و الذين تم تعويضهم ببدائل إلكترونية .

أما منتديات النقاش مثلا فتمكن الأفراد من تلقي و إرسال الرسائل بتفاعلية و تبادلية كما تتيح وسائل الإعلام الالكترونية إمكانية استقبال التغذية المرتدة من قرائها و جمهورها وذلك بفعل حيز التعليقات على المقالات و الأركان الإعلامية الموجود على مواقع تلك الصحف بالتالي تجعل القارئ أو المتلقي متلقيا ايجابيا من خلال كذلك ما يسمى بصحافة المواطن .

التزامنية

التزامن يقصد به الأنية و الظرفية أثناء الولوج إلى شبكة الانترنت واستخدام محتوياتها فعلى عكس الوسائط التقليدية التي تتسم ببطء انتقال الرسالة الاتصالية من المرسل إلى المستقبل التي قد تدوم دقائق أو ساعات أو من حتى أياما طويلة ، فتكنولوجيا الإعلام و الاتصال تتسم بالظرفية أي التقاء المرسل و المستقبل لتبادل الاتصال و المعلومات في الآن نفسه و على المباشر أو على الخط . فخدمات المحادثة الالكترونية تتيح فرص تبادل النقاش أنيا بين الجماعات التي تلتقي افتراضيا في إحدى غرق المحادثة المخصصة لموضع ما كمواضيع اللقاءات الحميمة .

هذا النمط الاتصالي يتيح فرصة فريدة من نوعها لالتقاء أكثر من شخص في مدة زمنية واحدة على الرغم من تواجدهم في أماكن جغرافية متباعدة.

التفتية

اتجه الاتصال في ظل تكنولوجيا الاتصال نحو تفتيت الاتصال بمعنى تقديم رسائل متعددة تلائم الأفراد أو الجماعات الصغيرة المتخصصة و يتخذ هذا التفتيت للرسائل مظهرين : المظهر الأول يتحكم فيه المرسل و المظهر الثاني يتحكم فيه المستقبل ، فالمرسل يوجه رسائل تخاطب الميول و الحاجات الفردية أما المستقبل فيتحكم في حجم المواد التي يستقبلها و نوعيتها .

لقد تحول الاتصال من الاتصال التجميعي الذي يقوم بتوجيه الرسائل الاتصالية إلى جماعات و جماهير متنوعة كجمهور التلفزيون و الإذاعة و جمهور الصحف إلى تفتيت الاتصال و تحوله إلى الفردانية و الشخصية فكل شخص بإمكانه خلق فضاء اتصالي خاص به على شبكة الانترنت.⁸

لا يختلف اثنان على أن ما تقدمه الانترنت من وسط اتصالي بقدراته الآلية يفوق القدرات الطبيعية للإنسان فهي تدرج الإنسان بكامل حواسه و إمكاناته العقلية و الجسمانية (السمع البصر الصوت حركة الأصابع) فعملية التفاعل الاجتماعي فريدة من نوعها على مر التاريخ الإنساني فبالإضافة إلى تنبؤات ماكلوهان نجد ليكليدر j c licklider عام 1968 حين أكد أنه في غضون سنوات قليلة سيكون الإنسان قادرا على الاتصال بطريقة أكثر فاعلية من الاتصال الإنساني وجها لوجه .

وفي أواخر السبعينات كانت من أهم التوقعات و التنبؤات التقنية تتمثل في :

- سيكون لها تأثيرات نفسية واجتماعية مثيرة على عمليات وأهداف الاتصال الجماعي.
- ستوفر فرصا كبيرة للجماعات المحرومة في المجتمع لتكتسب المهارات و الصلات الاجتماعية التي تحتاج إليها ليصبح أفرادها أعضاء كاملين في المجتمع
- سيكون لها تأثيرات مفاجئة على درجة المركزية أو لامركزية المحتملة في المنظمات
- ستصبح تقنية أساسية للأفراد ليشكلوا جماعات تحمل اهتمامات و مصالح مشتركة.
- تتيح العمل لنسبة كبيرة من العاملين بتخفيض نصف ساعات العمل الأسبوعية على الأقل
- سيكون لها تأثير كبير على تشكيل الجماعات السياسية و الجماعات ذات المصلحة الخاصة .
- ستفتح الأبواب للخدمات الجديدة و المتميزة .
- ستسمح بطريقة غير مباشرة بالحفاظ على إستهلاك كميات الطاقة من خلال تعويض الاتصالات و المواصلات .

-ستلغي طبيعة بحوث العلوم الاجتماعية التي تهتم بدراسة النظم الإنسانية و عمليات الاتصال الإنساني

-ستوفر إثراء و تنوعا في التجمعات البشرية و العلاقات بصورة يكاد يستحيل إدراكها.⁹

التأثيرات الايجابية و السلبية للانترنت (خاصة على منظومة العلاقات الاجتماعية)

إن تأثيرات وانعكاسات الانترنت لا تظهر فقط على مستوى تغيير أنماط الحياة الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية و السياسية للمجتمعات و الدول بل التأثيرات تظهر على مستوى تغيير سلوكيات واتجاهات الأفراد بصفة خاصة ، و تتجسد هذه الانعكاسات في جوانب كثيرة بعضها إيجابي و البعض الآخر سلي تؤثر بوضوح على حياة الفرد و الأسرة و من ثمة المجتمع بشكل عام.

1- التأثيرات الإيجابية:

أ- تعزيز القيم

عالم لازر سفيلد هذا الموضوع في دراساته الميدانية وأشار في مقولته المعروفة إلى أن وسائل الاتصال لا تغير آراء الناس ومواقفهم بقدر ما تعمل على تدعيم هذه الأخيرة. ويرتبط هذا الطرح بافتراض أن العامل الاجتماعي (العلاقات الاجتماعية) أساس تكوين الآراء والمواقف، وأن الإعلام يبني على ذلك ويعزز ما أنتجته العلاقات الاجتماعية.

ب- التنشئة الاجتماعية

يقصد بالتنشئة الاجتماعية الصيرورة التي يتم من خلالها اكتساب قيم المجتمع وثقافته. وتعتبر وسائل الاتصال مؤسسات اجتماعية تقدم أحزمة ثقافية محلية أو وافدة، فهي الناقل أو المحول الذي يساهم في إحداث الألفة مع المحيط. إن كل نوع من محتويات وسائل الاتصال يحدث تنشئة معينة.

ج- تحقيق الانسجام وتعزيز الترابط الاجتماعي

تحدث وسائل الاتصال الإحساس بالانتماء إلى المجتمع الذي تربطه صفات مشتركة كالقيم والثقافة واللغة والتاريخ والتجربة والحيز الجغرافي. و يزداد هذا الدور في المجتمعات المتعددة الأجناس واللغات والمعتقدات، فيكون دور وسائل الاتصال أعم الشمل، فهم يتحدثون عن تجاربهم الإعلامية مع ذويهم وأقربائهم.

إن وسائل الاتصال تدعم الحراك الاجتماعي وتعززه، إن هذا الاستخدام لم يحل محل التواصل الاجتماعي المباشر وإنما عززه أكثر فأكثر.

هـ- الوعي بالعلم الخارجي أو توسيع المحيط

ارتبطت وسائل الاتصال في نشأتها بالحاجة إلى معرفة الأحداث في المحيط القريب أو البعيد. وساهمت هذه الوسائل في تحقيق الرباط بين أفراد المجتمع داخلياً وإحداث الاهتمام بالأحداث خارجياً. وأصبح الجمهور في مختلف الثقافات وبفضل وسائل الاتصال يهتم بما يجري من أحداث في الخارج. وقد بينت نظرية المحيط الضيق أن وسائل الاتصال تعمل على توسيع المحيط الاجتماعي في المجتمعات المتميزة بقلة التفاعل الاجتماعي والنزعة الفردية. فوسائل الاتصال تعرض هذا البعد الاجتماعي الغائب في الواقع..

ز- معاشة عوالم متعددة تحمل الإنسان عبر الزمان والمكان

تقدم وسائل الاتصال إمكانية تجربة عوالم قد لا تكون حاضرة في واقع الفرد المتعامل مع الوسيلة الإعلامية. فوسائل الاتصال تنقل الفرد إلى عدة عوامل رمزية وخيالية تجعل هذا الأخير يبتعد ولو إلى حين عن هموم الواقع ويجد التعويض في هذه المنظومة الرمزية الخيالية. وقد بينت الدراسات الأولى عن «سر» ارتباط الأفراد بوسائل الاتصال أن هذه الأخيرة توفر ملجأ لمن ضاق به الواقع. وبمعنى آخر، فإن الفرد «يهرب» من الواقع فيجد ضالته في وسائل الاتصال التي احتضنته لحظة الحاجة إلى عالم آخر يوفر له بعض الاستراحة إلى أجل ما.

ح- الإشباع، التحويل والترفيه

فإن العلاقة بين الفرد والوسيلة الإعلامية مسألة إلزامية في المجتمع المعاصر وتشمل الاحتياجات التي تقدمها وسائل الاتصال. مما أدى إلى الارتباط الكبير والإفراط في الاستخدام والذي أثر على العلاقات الشخصية والاجتماعية للمستخدمين .

2-التأثيرات السلبية

-تدهور العلاقات الأسرية و الاجتماعية

-الانعزالية و فقدان الهوية

-انعكاساتها على منظومة القيم الاجتماعية مثل قيم العمل و الولاء و الانتماء وتدعيم قيم الاستهلاك الفردية و الاعتمادية على الأجهزة الالكترونية في إنجاز المهام .

-في المنظور المعياري نفسه،

تتمثل الجوانب السلبية في وسائل الاتصال في تلك التي تبتعد عن القيمة، ويشمل ذلك ما يلي:

يقصد بتحديد القيم إبعادها كعوامل مؤثرة، ويتمثل ذلك في تغييب القيم في المحتويات وبخاصة الترفيهية، إذ لا تنقيد هذه الأخيرة بنظام مع القيم، إنما تنبني على مبدأ ما يمكن أن يسوق إلى الجمهور الواسع. فوسائل الاتصال تعرض ما يرغب فيه الجمهور، والجمهور يرتبط بوسائل الاتصال التي تحقق له رغباته. وقد أدى ذلك إلى انتشار محتويات العنف والجنس وغيرهما في الأفلام والمسلسلات ذات الطبيعة التجارية خاصة

ب- تضيق المحيط

أظهرت نظرية المحيط الواسع والمحيط الضيق أن وسائل الاتصال تلعب دوراً سلباً بطريقة غير مقصودة في المجتمع الغني بالعادات والتقاليد والتفاعل الاجتماعي، ذلك أن وسائل الاتصال تبعد أفراد المجتمع بعضهم عن بعض. ويترتب عن ذلك أن تدفع وسائل الاتصال المجتمع الغني بالثقافة المعاشة والعلاقات الاجتماعية إلى الفقر في المجالات المذكورة، ومن ثم التشابه مع المجتمعات التي تنصف بالانعزال الاجتماعي وقلة الروابط الثقافية.

ج- تقليص المحلي وتوسيع العالمي

تتجه وسائل الاتصال عامة نحو ما يرتبط بالعولمة أو القرية العالمية يعني ذلك أن الاهتمام بالأحداث الخارجية في الثقافة الوافدة قد يكون على حساب الواقع المحلي. فهناك العديد من السلبيات التي أفرزتها هذه الشبكات، ومنها تقلص الزمن الاجتماعي المخصص للعلاقات الاجتماعية وبروز بعض السلوكيات «المنحرفة». إن شدة استخدام هذه الوسائل قد يبعد الفرد عن قضايا المحلية المرتبطة بواقعه المعاش.

هـ- إضعاف نسيج الاتصال الاجتماعي

تعمل وسائل الاتصال بطريقة غير مقصودة على تقليص الزمن الاجتماعي و تمارس التفكيك الاجتماعي على اعتبار أن الزمن الذي يقضيه الفرد مع هذه الوسائل يكون بالنتيجة على حساب التفاعل الاجتماعي المباشر. ويحدث مع الزمن أن يآلف الفرد هذا النمط من الاتصال، فيصبح انعزالياً ويعفي نفسه من المسؤولية الاجتماعية تجاه الآخرين. ونكون هكذا قد اقتربنا مما يسمى بـ (نهاية المحادثة) أو (الاتصال الشخصي المباشر).

ل- الإدمان على الوسيلة

يتضح أن شدة الارتباط بالوسيلة الإعلامية يكون على حساب المسؤوليات الاجتماعية الأخرى. وقد برز هذا الانشغال مع التلفزيون والفيديو، ثم ازداد مع الحاسوب. وتقدر الدراسات الغربية أن الفرد يشاهد التلفزيون ما معدله ست ساعات يومياً. وحديثاً، تشير الدراسات إلى أن الحاسوب قد يتجاوز التلفزيون في عدد الساعات المخصصة مع هذه الوسيلة. و يترتب عن هذا الإدمان قلة التفاعل الاجتماعي المباشر وما ذلك من أثر في إضعاف الروابط.¹⁰ إن تكنولوجيا الاتصال- رغم مزاياها المتعددة- لها عديد من التأثيرات السلبية على المجتمع. و

يجب أن ندرك ذلك حتى لا تقع في هوة الانبهار بالتكنولوجيات الحديثة في عصر المعلومات.¹¹

المدخل المختلفة للتأثيرات الاجتماعية للانترنت

أحدث ظهور الانترنت تحولات جوهرية في طبيعة الاتصال الإنساني الجماهيري، حيث أضاف شكلا جديدا من الاتصال. و هو الاتصال المرتبط بوجود أداة تكنولوجية تتوسط العلاقة بين طرفي العملية الاتصالية . و تتميز بسمه التفاعلية مثل غرف الدردشة و البريد الإلكتروني بالإضافة إلى قلة كلفة تلك الأداة و امتلاكها كثيرا من عناصر الاتصال الشخصي .مثل الصوت و الصورة و رجع الصدى الفوري ..مما دفع الباحثين إلى إجراء دراسات حول تأثيرات الانترنت الاجتماعية على الاتصال الشخصي لأنها خلقت اتصالا بين أشخاص دون تفاعل مادي (جسدي) و غيرت من المفاهيم الأساسية للتواصل بين الأفراد كما غيرت من مستوى الإشباع الاجتماعي . حيث خلقت إشباعا اجتماعيا لأفراد لم يلتقوا من قبل .

حيث يرى معظم الباحثين أن العلاقات الاجتماعية بين الأفراد أخذت شكلا آخر عما كانت عليه من قبل بظهور مستجدين تكنولوجيايين هما "الانترنت و الهاتف المحمول"¹²

و لقد اختلف الباحثون حول نوع التأثيرات التي يمكن أن تحدثها الانترنت على العلاقات الاجتماعية للأفراد فظهرت مدرستان متناقضتان و هما :

1) المدخل الإيجابي للتأثيرات الاجتماعية للانترنت (المتفائلون): أو المدخل

الإيجابي الذي يرى بأن الانترنت تؤدي إلى التواصل الاجتماعي و زيادة العلاقات الاجتماعية بين الأفراد (خاصة بين هؤلاء البعيدين مكانيا) .

ويؤكد رواد هذا المدخل على أن الانترنت أداة فعالة في التواصل الاجتماعي ، و أنها ساعدت بشكل كبير على الإبقاء على استمرارية الكثير من العلاقات بين الأفراد كما أشار Living (Stone2002) فلقد أتاحت الانترنت للشباب و صغار السن فرصة جديدة للتواصل من خلال تبادل الزيارات في البيوت و استخدام الانترنت معا و التواصل عبر الألعاب الجماعية و أدوات التواصل المتنوعة .

فالانترنت مكن من خلق شكل جديد من العلاقات الاجتماعية هو مزيج بين التواصل الاجتماعي عبر الانترنت و التواصل عبر الاتصال الشخصي .

الانترنت أحدثت تأثيرا على العلاقات الاجتماعية يطلق عليه مصطلح " مضاعفة الرؤية" أو " الرؤية الأوضح" و هو مصطلح يشير إلى مضاعفة علاقات الفرد .

الانترنت تسهل اتصالات الجماعة فهناك صعوبة في جمع مجموعة كبيرة من الأفراد في الوقت نفسه في الاتصال المواجهي على عكس الانترنت التي تتيح التواصل مع عدد كبير من الأفراد دون حدود .

الانترنت تقوي العلاقات بين أفراد الأسرة و الأصدقاء التي تبعدهم عن بعضهم البعض المسافات البعيدة.

أتاح الانترنت إمكانية التحدث بكل حرية والتعبير عن رأيه بصراحة و التحدث في مواضيع لا يستطيع التحدث عنها عبر الاتصال الشخصي من خلال غرف الدردشة و الألعاب الجماعية... خاصة و أن إخفاء الهوية أثناء الاتصال تساعد على ذلك.

الانترنت كوسيط اتصالي تساعد الأفراد الذين يعانون من الخجل و الانطواء على تجاوز حدود حياتهم الاجتماعية الضيقة و توطيد علاقاتهم مع أفراد المجتمع المحيط بهم و التعرف على أفراد آخرين

سمة التفاعلية صنعت ما يسمى ب"الاتصال الفائق" بحيث أصبح الانترنت كوسيط اتصالي وسيلة فائقة الحدود في العلاقات الشخصية بين الأفراد وهي:

-اتصال وقتي يحدث في نفس زمن الاتصال.

-رجع صدى قوي و فعال .

-التصور الكمالي للمتلقي.

-تقديم تفاؤلي للذات بحكم غياب التواجد المادي.

(2)المدخل المتشائم(السلبى)للتأثيرات الاجتماعية للانترنت :

الذي يرى بأن استخدام الانترنت يؤدي إلى قلة الوقت الذي يقضيه الفرد مع أفراد أسرته و أصدقائه و مع وسائل الاتصال التقليدية و أن الوقت الذي يقضيه الأفراد على الانترنت هو وقت مسروق من أنشطة اتصالية أخرى مخصصة للتواصل مع أفراد آخرين .

بحيث يؤكد هذه المدرسة على أن الانترنت يقلل من درجة التفاعل نظرا للدور الفعال للصوت البشري في التعبير و نقل المشاعر و الأحاسيس و الانفعالات و يسمى هذا النوع من الاتصال "الاتصال البارد "

إن استخدام الانترنت يؤدي إلى زيادة الإحساس بالعزلة ، بحيث لا يشعر مستخدم الانترنت بالوقت الذي يقضيه في استخدامها رغم أنه لا يعتبر بالنسبة للمستخدم وقتا ضائعا .

استخدام الانترنت يقلل من حجم الاتصالات مع أفراد الأسرة و الأصدقاء مما يؤدي بالفرد إلى الإحساس بالعزلة و الوحدة أي يؤدي إلى تقليل الروابط الاجتماعية بين الأفراد.¹³

(3)المدخل المعتدل :

يرى بأنه هناك تكامل بين الوسائل فالانترنت كوسيلة اتصال حديثة لن تحل محل الهاتف أو الصحف أو المذياع إنما يمكن أن تؤثر على مستوى الاشباعات التي تحققها تلك الوسائل للفرد فالانترنت كوسيط اتصالي هي أداة للاتصال الشخصي أتاحت للفرد سرعة و سهولة التواصل الاجتماعي و هي أداة مكتملة لدور الاتصال الشخصي.¹⁴

كما أشار الكثير من الباحثين أنه لا يمكن الحكم على طبيعة التأثير هذه دون الرجوع إلى العديد من المتغيرات التي لها علاقة بشخصية الفرد الذي يتعرض للانترنت من حيث الجنس و المستوى التعليمي و الثقافي و دوافع استخداماتهم للانترنت و كذلك مدى تمسكهم بالعادات و التقاليد و تعاليم الدين

أثر الانترنت على العلاقات الاجتماعية

تعتبر الانترنت من وسائل الاتصال الحديثة التي أدى استعمالها بكثرة من طرف الأفراد إلى نشأة روابط اجتماعية جديدة و ساعدت على " إقامة علاقات شخصية بين الأفراد و تحقيق إشباعات معينة لا تتحقق باستخدام الوسائل الأخرى ". خاصة و أن الإنسان بطبعه الاجتماعي يحاول أن يكون دائما في حالة اتصال و تفاعل مع محيطه الاجتماعي وهو ما يحدث الآن في عصر تكنولوجيا الإعلام و الاتصال الحديثة التي تسمح للفرد بإقامة شبكة كثيفة من العلاقات مع أشخاص من مختلف أنحاء العالم .

نحن نعلم بأن تكون علاقات اجتماعية يمر بعدة مراحل تخضع فيها العلاقة إلى مجموعة من المعايير هذه العلاقة التي يمكن أن تتدهور و يحدث الانفصال أو تستمر لمدة طويلة و نفس الشيء يحدث في شبكة الانترنت عبر خدماتها المختلفة التي تسمح بتعارف الأفراد و تبادل الرسائل فيما بينهم ثم تتحول هذه الرسائل إلى علاقة وطيدة كثيرا ما تنتهي باللقاء المباشر وجه لوجه، فتصبح علاقة إنسانية حقيقية وفي بعض الحالات تبقى هذه العلاقة افتراضية أي أنها لا تتحول إلى علاقة شخصية مباشرة و لذلك يقول Timothy leary بأننا " سندخل في المستقبل القريب في علاقات عبر الانترنت مع أناس لن نراهم أمامنا أبدا فكل اتصال و علاقة و كل مقابلة ستتم من الآن فصاعدا بواسطة الشبكة "¹⁵

الاتجاه الذي يرى بأن الانترنت تقلص علاقات الفرد و تفاعلاته:

تعتبر الانترنت كغيرها من وسائل الاتصال التي إن لم يحسن استغلالها فإنها " تتحول إلى وسيلة لعزل الأفراد و جعلهم محبطين و مدمنين."¹⁶

فنظرا للاستخدام المكثف للانترنت هذا يؤدي بالفرد إلى الانفصال عن محيطه الاجتماعي و الاندماج في جماعات افتراضية .و لهذا يرى البعض أن استخدام تكنولوجيا الاتصال قد" يؤدي

إلى إعادة هيكلة العلاقات الداخلية للأسرة و إعادة تهيئتها مع ظواهر كالتوجه إلى الاستقلالية و الارتباط بهذه الوسائل¹⁷

إن تكنولوجيا المعلومات تضع أمامنا خيارات عديدة فهذه التكنولوجيا لا تمنحنا فقط أساليب مختلفة للعمل و التفكير و الترفيه ، بل إنها تقدم لنا أيضا بعض الخيارات الأخلاقية المختلفة ، و هذه الخيارات الأخلاقية هي التي تعكس بعض المعايير التي تساعد في توجيه السلوك و التصرفات و مع امتزاج أجهزة الكمبيوتر و الاتصالات فإننا نواجه الآن بما يمكن أن يطلق عليه الأخلاقيات في العصر الإلكتروني و هي التي تقوم بتحديد الأفعال الصحيحة في هذا العالم الرقمي .فلقد أصبح من السهل في عصر الاتصال الإلكتروني خلق " مجتمعات سيكولوجية" تقوم بتوسيع نطاق علاقاتنا عبر الوقت و المسافة ، حتى يتم في النهاية خلق " مجتمعات افتراضية" التي تتكون من الناس الذين نعرفهم فقط من خلال شبكات الاتصال ، و لعل هذا هو الاتجاه الذي يقودنا إلى مجتمع ما بعد الحداثة، في هذا المجتمع تنوب الدول لتصبح كيانات هلامية حيث يصبح الناس أقل اهتماما و مشاركة في الأحداث التي تدور في العالم المحيط بهم ، كما قد يحدث العكس أيضا ، لأن تكنولوجيا المعلومات قد تكثف علاقات الناس في مجتمعاتهم المحلية ،من خلال فتح قنوات اتصال ، و الدفع بأساليب جديدة لتنسيق الأنشطة المختلفة و تدعيم العلاقات .

و من المؤكد أن ثمة شيئا مفقودا عندما نستخدم الاتصال عبر وسائط إلكترونية ،و من أمثلة هذه الأشياء المفقودة التلميحات غير اللفظية ،كتعبيرات الوجه و حركات الجسد، و الإيماءات ، و التي تساعدنا في فهم المعاني الأكثر عمقا للكلمات ،و هذا هو مفهوم الحضور الاجتماعي الذي يختلف عن الحضور النسبي الذي يعني غياب التلميحات المحسوسة التي تساعد في نقل المعاني المستترة .و تعتبر المكالمات الهاتفية من بين الاتصال الذي يكون فيه الحضور الاجتماعي منخفضا ورغم ذلك فإنها مفيدة لدعم العلاقات بين الأفراد لأنها أنشئت لنقل المعلومات .و لكن معظم الأشخاص يفضلون الاتصال المباشر وجها لوجه.عندما يكون لديهم شيئا متما يريدون قوله و لكنهم يفضلون الهاتف عندما يبحثون عن معلومات.فوسائل الإعلام ذات الحضور الاجتماعي المنخفض تعد كافية للبحث عن المعلومات و حل المشكلات و لكنها أقل فعالية عند حسم الصراعات أو تكوين انطباعات عن المعارف الجديدة .

كما أن تأثير وسائل الإعلام هذه مس طبيعة العلاقات بين أفراد الأسرة الواحدة. بحيث ساهمت في تفكك الرابط بين أفرادها.خاصة نمط الأسرة النووية (أبوان و أطفال) بحيث نجد أن كل فرد في الأسرة أصبحت له وسائله المنفصلة للوصول إلى مصادره الاتصالية الخاصة .

و هكذا فإنه من خلال وسائل الإعلام تحولت بعض المجتمعات في الدول المتقدمة خاصة من الروابط القائمة على الدم و الزواج و الجيرة إلى شبكات من الجماعات ذات المصالح و التي يمكن ألا يكون لأفرادها وجه أو صوت معروف. و في بعض الأحيان تكون هذه الجماعات مجرد أفراد نتحدث معهم في الهاتف أو نرسل لهم بريدا إلكترونيا دون أن نرى وجوههم.¹⁸

خلاصة

ما انفك الإنسان في حاجة للتواصل مع غيره منذ الأزل، ولهذا عمل دوماً على تطوير وسائل التواصل مع الآخرين من حوله وما يزال. ولهذا يعد التطور المذهل في تقنيات التواصل الاجتماعي ومحاولة التكيف معها أمراً طبيعياً. فالتغيير سنة الحياة وأمر متجدد في كل العصور والمجتمعات.

ولقد رافقت استخدام هذه التقنيات الكثير من السلبيات التي تحتاج إلى الاستقصاء والفهم والمعالجة فمجرد ذم هذه الوسائل (أو الدعوة إلى تركها في بعض الأحيان) لا يجدي. ورغم كل شيء تظل وسائل التواصل الاجتماعي أدوات ثقافية خاضعة لقوانين الاتصال والعمليات الثقافية والتفاعل الاجتماعي وليست خارجة عليها.

الهوامش

1 - (من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة)

2- (د) عايد سبع السلطاني، خبير المديرية العامة للرعاية الاجتماعية ووزارة التنمية الاجتماعية ورقة عمل للمشغل التخصصي لمشرفي مادة المهارات الحياتية ووزارة التربية والتعليم – المديرية العامة لتطوير المناهج للفترة 7-11-2009. نشر يوم 13 ماي 2011 – التفاعل الاجتماعي . في مدونة تهتم باللسانيات التداولية التفاعلية الاجتماعية . اللسانيات اللغة التواصل والتفاعل والمجتمع

3- محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة . 2006 . ص225

4_ رحومة علي محمد ،الانترنت و المنظومة التكنو-اجتماعية ،بحث مقدم في الآلية التقنية للانترنت و نمذجة منظومتها الاجتماعية .مركز دراسات الوحدة العربية،سلسلة أطروحات الدكتوراه ، (53) ، الطبعة الأولى ، بيروت ، 2005. قسم علم الاجتماع بجامعة الفاتح في طرابلس،ليبيا. 2004. ص 15.

5_ علياء سامي عبد الفتاح، الانترنت و الشباب، دراسة في آليات التفاعل الاجتماعي، ط1، دار العالم العربي، القاهرة، 2009.ص 21.

6_ رحومة علي محمد ، المرجع نفسه سابق الذكر ، ص215.

7_ الصادق رابع ، الانترنت كفضاء مستحدث لتشكل الذاتي البوابة العربية لعلوم الإعلام و الاتصال 2009www.arabmediastudies.org، ص ص 93 ، 94.

(8)_ المرجع نفسه ، ص ص 95،96.

-
- (9)_ رحومة علي محمد، المرجع نفسه سابق الذكر ، ص224-226.
- (10)_ عزي عبد الرحمن، تأثير وسائل الاتصال في الثقافة (المنهج المعياري)، الموسوعة الإسلامية. المصدر: دراسات في نظرية الاتصال نحو فكر إعلامي متميز. 19- 06- 2012.
- (11)_ اللبان شريف درويش ، تكنولوجيا الاتصال المخاطر والتحديات و التأثيرات الاجتماعية سلسلة العلوم و التكنولوجيا .الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 2008. ص22
- (12)- علياء سامي عبد الفتاح ، المرجع نفسه سابق الذكر ، ص 8.
- (13)-علياء سامي عبد الفتاح ،المرجع نفسه سابق الذكر ، ص ص 84-87.
- (14)-المرجع نفسه ، ص91.
- 15- Breton Philippe ; le culte de l'internet, une menace pour le lien social ; la découverte, paris, 2000 ; p 96.
- 16- Lazard Judith : sociologie de la communication de masse, Armand colin, paris ; 1991 ; p199.
- 17 Gouet -Josiane, » retour critique sur la sociologie des usages », réseaux n – 100. (2000) ; p510
- 18- اللبان شريف درويش، المرجع نفسه سابق الذكر ، ص ص 193 - 196.